المسؤولية تجاه شقاء سكان المخيمات حسب رأي الكاتب . ان كل ما أورده الكاتب من معلومات وأرقام عن حدود خدمات الوكالة ليس بالشيء الجديد فقد كتب من قبل الكثير عن مسؤولية الوكالة تجاه الشعب الفلسطيني وتخلفها في اداء واجباتها تجاه الشعب الفلسطيني . ولكن الشيء الجديد الذي يتعرض له الكاتب هي الآثار الاجتماعية والنفسية وبشكل خاص الآثار النفسية . وكما ذكرنا أعلاه فان الكاتب قد بالغ في شدة تأثير تلك النفسية مما دفعه للانجرار أمام عفوية الناس بتبنيه المطالب من الوكالة تلك التي أوردها في كتابه .

من الضروري هنا أن نتعرض لهذه المسألة التي يثيرها الكاتب ، فقد أعار انتباها خاصا في التحدث عن نفسية الفلسطيني . ولكنه لم يستطع ان يميز خصائص النفسية القديمة العائدة الى الاصول القروية ولم يبين حدود تأثيرها خاصة بالنسبة الى النفسية الجديدة التي نشأت على أساس اقتصادي واجتماعي جديد لا يمت بصلة الى القرية .

من المفيد جدا لمثل هذه الدراسة ان تعرض آثار مسؤولية الوكالة عن حالة الشعب الفلسطيني لفترة عشرين أو ٢٥ سنة من الهجرة . ولكن يصبح من غير المفيد ان نعيد صياغة مطالب أهالي المخيم من الوكالة وكأنها برنامج عمل نضالي مطلبي . ان تبني هذه المطالب انما يعني تلبية حاجيات الناس الذين ما زالوا يتميزون بالنفسية القروية القديمة . ان الوكالة هي التي عملت على تجميع الفلسطينيين داخل المخيم الواحد تبعا لأصولهم القروية . فجمعت أهالي قرية هونين في احدى زوايا المخيم وأهالي علما وفراضه وغيرها من القرى الفلسطينية في أماكن أخرى من المخيم نفسه . وابقت الوكالة بالتالي على العلاقات العشائرية القروية ولكن بصورة اصطناعية . فليس هناك من قاعدة مادية انتاجية لبقاء مثل هذه العلاقات . فهي اصطناعية هذه المرة لأنها تجعل من معونات وخدمات الوكالة قاعدة مادية لاستمرار النزعة التي يقول الكاتب انها قروية ... ان بقاء مثل تلك العلاقات العشائرية الاصطناعية جعل عملية سيطرة الوكالة والدولة اللبنانية تامة وأكيدة لأنها توصلت الى أهالي المخيم عن طريق الوجهاء وكبار أعضاء العائلات المختلفة . لذلك يجب الادراك ان أهالي المخيم يعيشون في حالتين نفسيتين متعارضتين :

أ — النفسية الاصطناعية - التي- أبقت عليها الوكالة والتي تعود أصولها الى القرية الفلسطينية. والتي لم يعد لها أي أساس انتاجي اجتماعي بل اتخذت من خدمات الوكالة ركيزة مادية لوجودها .

ب — النفسية الجديدة هي نفسية « الوحدة الاجتماعية السياسية » التي تحدث الكاتب عنها في مؤخرة الكتاب . نتجت هذه النفسية عن الظروف الانتاجية الجديدة التي تطورت منذ أواخر الخمسينات وأفرزت واقعا جديدا لسكان المخيم .

ان ما بقي من آثار نفسية القروي هو جانب الحنين والارتباط الروحي بالارض المفقودة ، وهذا ما دفع الى استمرار النزعة الوطنية للفلسطينيين . أما الواقع الاجتماعي الحالي — التشتت والبؤس ومعاملتهم كأجانب في البلاد المضيفة واستغلال قوة عملهم وعدم اعطائهم أدنى حد من الحقوق المدنية والسياسية . هذا الواقع هو الذي دفع الفلسطينيين الى النشاط السياسي الحالي . وبديهي أن النشاط السياسي الثوري الحالي له الدور الرئيسي في تعبئة طاقات الشعب الفلسطيني من أجل استرجاع الوطن .

فبناء على هذا لا يمكن ان نضع كافة المطالب من الوكالة في برامج المنظمات الفلسطينية النقابية والسياسية . اذ ان هذه المطالب تعبر عن عقلية « اللاجىء » الذي خرج لتوه من فلسطين ويطالب ببديل مباشر عن الارض . وهكذا فان خدمات الوكالة قامت بتلبية الحد الادنى لاستمرارية حياة الشعب الفلسطيني بعد ان خسر كل مقومات الحياة مباشرة بعد النكبة والهجرة .

لنرى الآن كيف أغفل الكاتب جانبا مهما من حياة الشعب الفلسطيني وهو حق نشاط الثورة الفلسطينية العلني الذي انتزع عام ١٩٦٩ . لذلك لم يكن الكاتب جريئا ليخاطب الفلسطيني بلهجة تتطلب منه الاعتماد على النفس والاستغناء التدريجي عن خدمات الوكالة . فقد كتبت هذه الدراسة في أواخر عام ١٩٧٢ ونشرت عام ١٩٧٣ . أثناء تلك السنوات وقبلها طرأت تغيرات جذرية على طبيعة الاوضاع الاجتماعية داخل مخيم تل الزعتر ، وأصبحت منظمات الثورة هي المسؤولة المباشرة عن حياة الشعب الفلسطيني . ان معظم